ألف حكاية وحكاية (٥٥)

يعقوب الشارونى

طفل بين ذراعى غوريللا

وحكايات أخرى



مكتبة مصر

ألف حكاية وحكاية (٥٥)

طفل بين ذراعى غوريللا

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى

رسـوم

نسـيم



مكتبة مصر

موزة فى الجبلاية

كانَ جمهورٌ كبيرٌ من الشبابِ والفتيانِ ، يقفُ حولَ سورِ جبلايةِ القرودِ ، بحديقةِ الحيواناتِ بالجيزةِ . والسورُ يُحيطُ بمنطقةٍ منخفضةٍ واسعةٍ ، فى وسطِها جبلايةٌ كبيرةٌ ، يسكنَها عددٌ كبيرٌ من القرودِ.

وربطَ فتًى موزةً بقطعةِ خيطٍ أنزلَها ببطءٍ ، فاقتربَتِ القرودُ تتقافزُ فى محاولةٍ للإمساكِ بالموزةِ ، لكنَّ الفتَى كان يجذبُ الخَيْطَ بسرعةٍ ، فتعودُ القرودُ إلى الأرضِ وقد أصابَتْها خيبةُ الأملِ ، فتنطلقُ الضحكاتُ مُدوِّيَةً من الواقفينَ جميعًا.

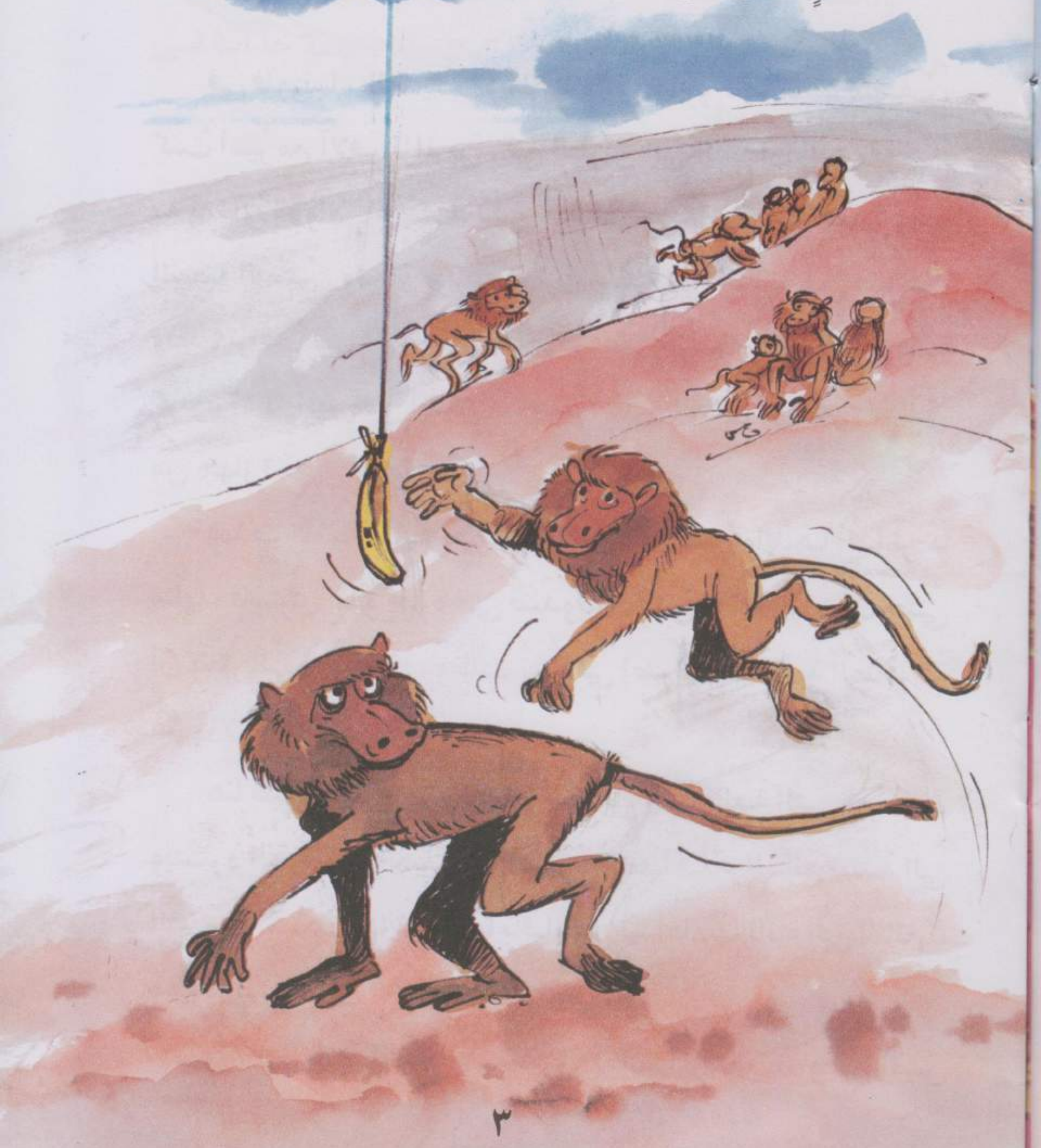
ويبدو أن القرودَ فقدَتِ اهتمامَها بالموزةِ وصاحبِها ، فتوقَّفَتْ عن مُحاولةِ القفزِ ، وانشغلَتْ بأشياءَ أخرى.

وجاءَ قردٌ كبيرٌ ، جلسَ أسفلَ الخَيْطِ ، يبحثُ فى الترابِ عن حبَّاتِ الفولِ السودانِيِّ التى كانَ يُلقيها مُتفرِّجونَ آخرونَ . وحاولَ الفتى إنزالَ الموزةِ فوقَ رأسِ ذلك القردِ ، لكنَّ القردَ كانَ مُصِرًّا على أن يفهمَ الفتى أنه لم يعُدْ مهتمًّا بموزتِهِ . وبدأ الجمهورُ يتفرَّقُ وينصرفُ ، فلم تعدْ فى اللعبةِ جاذبيةٌ.

لكنْ فى لحظةٍ خاطفةٍ ، وكأنما هناكَ اتفاقٌ سابقٌ ، قفزَ قردٌ صغيرٌ فوقَ رأسِ القردِ الكبيرِ ، وأمسكَ بالموزةِ بقوةٍ بين يدَيْهِ، وأسرعَ

يلتهمُها!!

وفى هذه المرةِ ، انطلقَ الجمهورُ يضحكُ من الفتى ، ويصفِّقُ فى حماسٍ تقديرًا للقردِ !!



عروسة وطفلة فى رقصة مزدوجة

فى فلورنسا ، المدينةِ الإيطاليةِ التى تبدو كلُّها كأنها متحفٌ ، كنتُ أسيرُ مع آلافِ الزائرينَ ، فى الطريقِ الى الميدانِ الذى يوجَدُ به تمثالُ "دواد" الرائعُ ، الذى أبدعَهُ "مايكل أنجلو" فنَّانُ عصرِ النهضةِ العظيمُ . وفجأةً جذبَتْ نظرى طفلةٌ فى الثانيةِ من عمرِها ، وقفَتْ تُراقِبُ فى انبهارٍ ، بائعًا يعرضُ على أرضيةِ الطريقِ ، عروسةً كرتونيةً ، تتراقصُ فى إيقاعٍ ضاحكٍ ، على ألحانِ موسيقى تنطلقُ من جهازِ تسجيلٍ بجوارِها.

ومدَّتِ الطفلةُ يديْها نحوَ اللعبةِ الراقصةِ ، فظنَّ والدُها أنها تُريدُ مثلَها ، فاشترى لها واحدةً فى صندوقِها . لكنَّ الطفلةَ رفضَتْ حتى أن تنظرَ إلى الصندوقِ ، وظلَّتْ تُشيرُ فى إصرارٍ إلى اللعبةِ المُتحرِّكةِ على الأرضِ !!

هنا طلبَ والدُها من البائعِ أن يُعطِيَ ابنتَهُ اللعبةَ التى يعرضُها ، ويستردَّ التى فى الصندوقِ . لكنْ عندما قدَّمَ البائعُ لعبتَهُ إلى الصغيرة، أمسكَتْ بها تتحسَّسُها بأصابِعها ، ثم أعادَتْها ثانيةً إلى البائعِ ، مُشيرَةَ إلى المكانِ الذى كانَتْ ترقصُ فيهِ .

وأعادَ البائعُ اللعبةَ إلى مكانِها ، فعادَتْ ترقصُ .. وفى نفسِ

اللحظةِ ، بدأتِ الطفلةُ تُقلِّـدُ الرقصاتِ على نغماتِ الموسيقى ، فى إيقاعٍ رشيقٍ مع اللعبة .

وتَجمَّعَ حولَنـا عددٌ كبيرٌ من السائحين ، يُراقِبون فى إعجابٍ هذه الرقصةَ المُزْدَوَجةَ ، بيْنَ عروسةٍ كرتونيةٍ ، وطفلةٍ جذّابةٍ فـى الثانيةِ من عمرِها !!



مع الأخطبوط فى سيدى بشر

كنتُ أقفُ على رمالِ شاطئِ سيدى بشر بالإسكندريةِ أراقبُ الشروقَ ، عندما خرجَ من الماءِ شابٌ فى ملابسِ الغطسِ ، يحملُ شيئًا تتدلَّى منه أطرافٌ متعددةٌ . وكطفلٍ يدفعُهُ حبُّ الاكتشافِ والاستطلاعِ ، اقتربْتُ منه ، فتبيَّنْتُ أنه اصطادَ "أخطبوطًا" متوسطَ الحجمِ ، لا تزالُ أذرعُهُ تتلوَّى !!

سألْتُهُ ضاحكًا: "ألا تخافُ من هذه المَمَصَّاتِ أن تمتصَّ دمَكَ ؟"

قالَ لى : "هاتِ يدَكَ .. ضعْ أصبعَكَ على أحدِ هذه الممصاتِ."

وعندما تردَّدْتُ ، وضعَ هو أصابعَ يدِهِ كلَّها .. وتشجَّعْتُ .. عندئذٍ تبيَّنْتُ أنها ليسَتْ ممصَّاتٍ ، بل هى مُجرَّدُ أكياسٍ تقومُ بتفريغِ الهواءِ، فتلتصقُ ذراعُ الأخطبوطِ بالأصبعِ أو باليدِ ، مثلما تلتصقُ بالصخورِ عندَ قاعِ البحرِ . ووجدْتُ أنه من السهلِ أن تجذبَ أصبعَكَ، فتُفْلِتَ بسهولةٍ من هذه الممصاتِ.

أما الخطرُ الحقيقِىُّ ، فهو من "منقارِ" الأخطبوطِ الصلبِ ، الذى يُشبِهُ منقارَ "الببغاءِ" القوِىَّ الحادَّ ، والذى يوجَدُ فى مركزِ تشعُّبِ أذرعِ الأخطبوطِ . إنه يُمزِّقُ به فرائسَهُ التى تُمسِكُ بها أذرعُهُ ، لكنه لا يمتصُّ أىَّ دماءٍ أو عصاراتٍ من فرائسِهِ بتلك الممصَّاتِ.

وتذكَّرْتُ الأخطبوطَ الهائلَ الذى رأيْتُهُ مُعلَّقًا قُرْبَ سقفِ أكبرِ

قاعاتِ متحفِ التاريخِ الطبيعِيِّ فى نيويورك ، والذى يبلغُ طولُ رأسِهِ مترًا ونصفَ المترِ ، ويبلغُ طولُ كلِّ ذراعٍ من أذرعِهِ حوالى ١٥ مترًا.. إنه وحشُ المياهِ العميقةِ الحقيقِىُّ !!



طفل بين ذراعى غوريللا

سألْتُ صديقى ، ونحن نتأمَّلُ الأسود تسيرُ فى كبرياءٍ ، بمنطقتِها المفتوحةِ العميقةِ، بحديقةِ حيواناتِ واشنطن:

"ما هى أكثرُ الحوادثِ التى أثارَتْ مشاعرَكَ خلالَ العامِ الماضى، فى مجالِ عالمِ الحيوانِ؟"

قالَ: "فى حديقةِ حيواناتِ شيكاغو ، وفى منطقةٍ مفتوحةٍ منها ، تعيشُ أعدادٌ من الغوريللا ، وهى أقربُ الثديياتِ العُلْيا شَبَهًا بالإنسانِ".

قلْتُ له: "لكنها أكثرُ الحيواناتِ شبهًا بالغولِ الخرافِىِّ فى قَصَصِنا الشعبِىِّ!!"

أجابَ : عندما تسمعُ حكايتى ، تعرفُ مدى صدقِ هذا الكلامِ.

فقد كانَتْ هناك أمٌّ تزورُ الحديقةَ ، وهى تحملُ طفلَها الذى يبلغُ ثلاثَ سنواتٍ. وأخذَتْ تميلُ به على حافةِ المنطقةِ العميقةِ المُتَّسعةِ ، ليرى ابنُها حيواناتِ الغوريللا بوضوحٍ.

وفجأةً اندفعَ الطفلُ من بَيْنِ ذراعَىْ أمِّهِ، وسقطَ فى حفرةِ تلك الحيواناتِ الضخمةِ القويةِ !!

وفى لمحِ البصرِ ، كانَ أكبرُ تلك الحيواناتِ قد أسرعَ يتلَقَّى الطفلَ بَيْنَ ذراعَيْهِ. وانطلقَتْ صيحاتُ الفزعِ الجنونِىِّ من الأمِّ ، وقد

فقدَتِ الأملَ فى نجاةِ ابنِها ، من بَيْنِ ذراعَىِ الحيوانِ الضخمِ.

وتَجمَّعَ آلافُ الزائرِينَ يملؤهم الرعبُ على مصيرِ الطفلِ.

لكنَّ الغوريللا هائلةَ الحجمِ احتضنَتِ الطفلَ الصغيرَ فى رفق كما تحتضنُ صغارَها ، وسارَتْ به إلى مدخلِ بيتِها ، وسلَّمَتْهُ فى هدوءٍ إلى حارسِها، الذى أعادَهُ سالمًا مُبتسِمًا إلى أمِّهِ.

وهنا ارتفعَ التصفيقُ والهُتافُ ، مع الدموع ، من آلافِ المُشاهِدين.



يرضعان من ذئبة

فى وسطِ روما ، وفى متحفِ الكابيتول ، مقرِّ الحكمِ القديمِ للإمبراطوريةِ الرومانِيَّةِ ، وقفْتُ أتأمَّلُ تمثالَ الذئبةِ تُرضِعُ طفلَيْنِ ، وهو رمزُ مدينةِ روما الحديثةِ.

وبجوارى وقفَ أبٌ وابنُهُ يتحدَّثان بالإنجليزيةِ. كانَ الوالدُ يقولُ لابنِهِ : "هذانِ الطفلانِ هما "ريموس ورومولس" اللذانِ حملَتْهما أمواجُ نهرِ التيبر إلى الشاطئِ، الذى أصبحَ الآنَ مدينةَ روما. وقد وجدَتْهما ذئبةٌ، فأرضَعَتْهما. ورومولس هو الذى أسَّسَ روما".

قالَ الابنُ ، الذى لم يكنْ عمرُهُ يتجاوزُ الثمانيةَ: "هذه خرافةٌ قديمةٌ!"

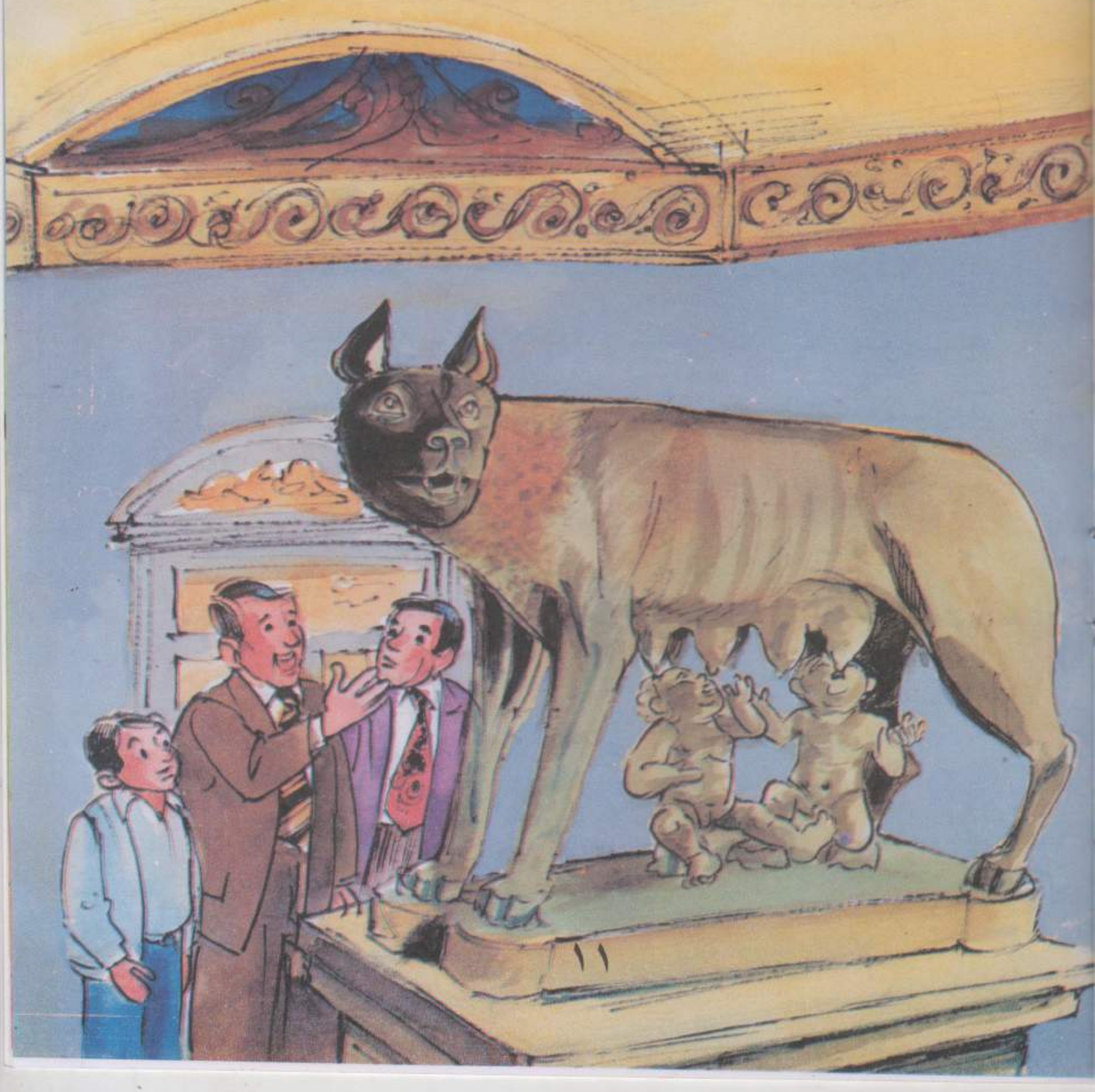
أجابَ الأبُ: "هذا التمثالُ يؤكِّدُها، فعمرُهُ الآنَ ٢٥٠٠ سنةٍ".

وفى ثقةٍ قالَ الصبِىُّ: "هذا عمرُ نصفِ التمثالِ فقط!"

ونظرَ إليه والدُهُ فى دهشةٍ ، فأضافَ الصبِىُّ: "عندما عَرَفَتْ معلِّمتى أننى سأزورُ روما، أعطَتْنى كتابًا من مكتبةِ المدرسةِ عن روما. الكتابُ يقولُ إن تمثالَ الذئبةِ وحدَها هو القديمُ !"

هنا بدأ الوالدُ يقلِّبُ الدليلَ السياحِىَّ الذى يحملُهُ ، ثم قالَ : "لا يوجَدُ هنا شىءٌ مما تقولُ !!"

وقبلَ أن تظهرَ علاماتُ الخيبةِ والإحباطِ علـى وجـهِ الصغيرِ ، وجدْتُ نفسى أتدخَّلُ فى الحديثِ . قلْتُ: "لقد تمَّ نحتُ تمثـالِ الذئبة فى منتصفِ القرنِ الخامس قبلَ الميلادِ . أما الطفلانِ فقد أضافَهما فنَّانٌ من فلورنسـا عـام ١٤٠٠ م . إن عمرَ الطفلَيْنِ لا يتجاوزُ ٦٠٠سنةٍ !!"



سلطان زمانه

فى العاصمةِ الأمريكيةِ واشنطن ، وفى بيتِ صديقى وزميلِ الدراسةِ الخبيرِ الإعلامِيِّ ، وجدْتُهُ يقفُ فى احترامٍ مُبالَغٍ فيه أمامَ قطٍّ ضخمِ الحجمِ يستلقى مُسترخيًا فوقَ أجملِ المقاعدِ ، ويَقولُ له مُستأذِنًا: "هل تسمحُ لنا ، أنا وضيفى القادمِ من مصر ، أن نتناولَ إفطارَنا ؟"

وضحكْتُ ، فشرحَ لى صديقى أصلَ الحكايةِ ، قالَ:

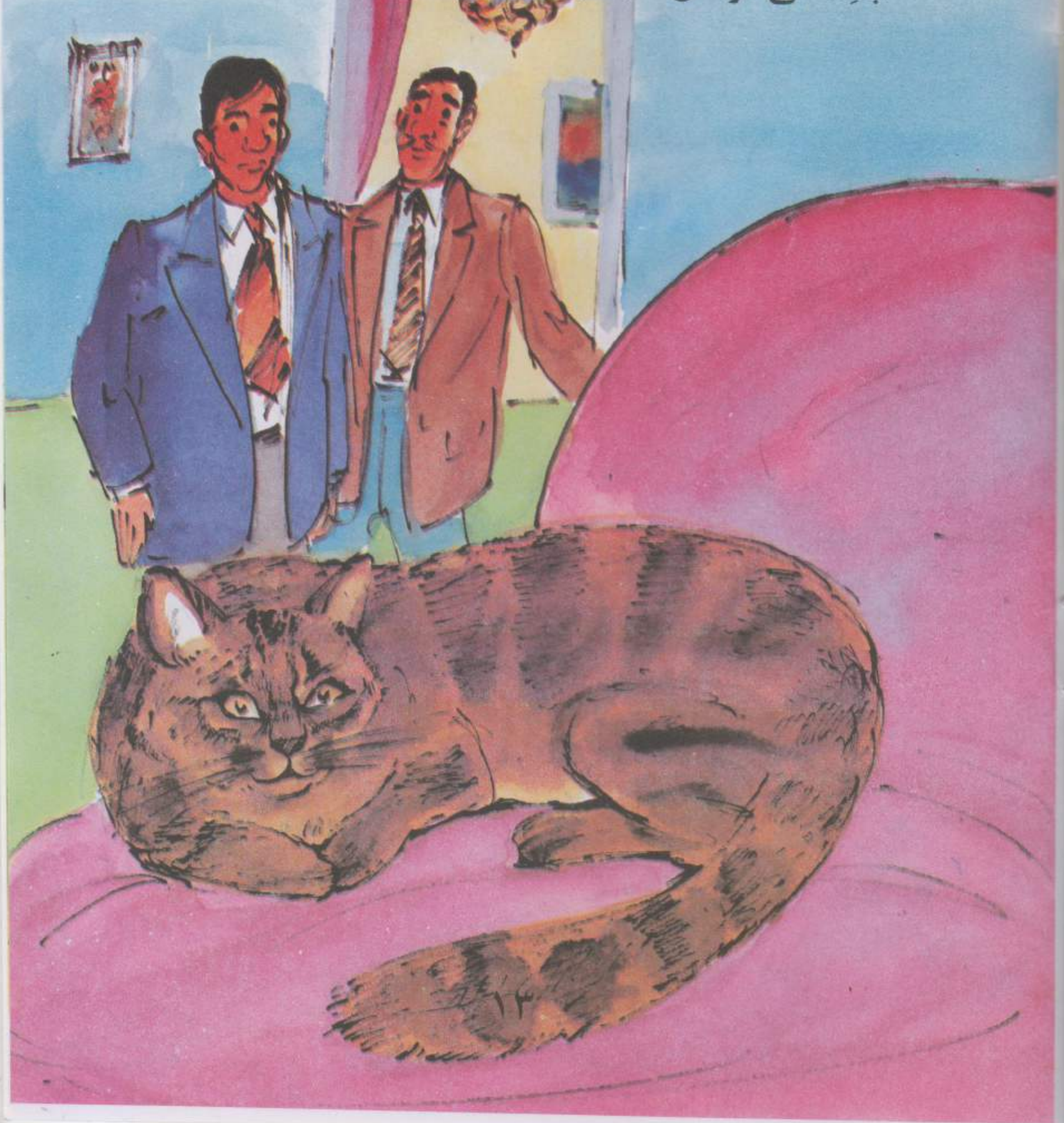
"هذا القطُّ ، مثلُ كلِّ قططِ بيوتِ أمريكا ، يتصوَّرُ نفسَهُ سلطانَ هذا البيتِ ، وأننا نعيشُ فى مملكتِهِ . نحن نقدِّمُ له أفخرَ أنواعِ الطعامِ المُخصَّصِ له ، نشتريها لعظَمَتِهِ مثلَما نشترى طعامَنا، ولا يتحرَّكُ من مكانِهِ إلا بعدَ أن نكونَ قد أعدَدْنا له مائدتَهُ !! هو يختارُ لنفسِهِ مكانَ راحتِهِ ، فلا نجرؤ أن نُزعِجَهُ .. ومرةً كلَّ شهرَيْنِ ، ينطلقُ موكبُهُ فى زيارةِ الطبيبِ ، ليتأكَّدَ من نعومةِ فروتِهِ ، وسلامةِ صحتِهِ ، وقوةِ أسنانِهِ ، مع أنه يترفَّعُ الآنَ تمامًا عن صيدِ الفئرانِ ، وإنْ كانَ ، من بابِ الرياضةِ وتدريبِ العضلاتِ ، قد يُحاوِلُ صيدَ عصفورٍ صغيرٍ !!"

عندئذٍ وقفْتُ أنا أيضًا أمامَ القطِّ مهيبِ الطلعةِ ، أقولُ له فى احترامٍ:

"هل تسمحُ لى أن أقضِيَ ليلتَيْنِ فى ضيافتِكم ؟! "

هنا تَمطَّى القطُّ الهائلُ فى دلالٍ سلطانِيٍّ ، وأشاحَ بعينَيْهِ عنِّى !!
وهكذا فهمْتُ أنه تَنازَلَ ومنحنى عطفَهُ ، فقد كانَتْ إشارتُهُ
تقولُ بكل وضوحٍ :

"ابتعِدْ عنِّى ، وافعلْ ما يحلو لك !!"



شيء في جيبه !!

لم يتجاوزْ أمير الخامسةَ مـن عمرِهِ إلا بشهورٍ قليلةٍ ، لكنه عندما طلبَ من جدِّهِ نقودًا ، ليشترِىَ "شيئًا" لنفسِهِ من البقالِ المجاورِ للمنزلِ ، لم يتردَّدِ الجدُّ فى إعطائِهِ خمسةً وعشرينَ قرشًا . وفى سرعةٍ فتحَ أميرُ بابَ الشقةِ ونزلَ فى مرحٍ درجاتِ السلمِ ، ثم انطلقَ يجرى فى الطريقِ كأنه طائرٌ فردَ جناحَيْهِ . وعندما وصلَ إلى الدكانِ ، دخلَ فى ثقةٍ ، وبعدَ دقائقَ ، عادَ إلى الشقةِ ، وفى جيبه شىء ما.

سألَتْهُ الجدَّةُ : "ماذا أحضرْتَ يا أمير ؟"

وابتسمَ أمير فى غموضٍ ، لكنه تَظاهَرَ بأنه لم يسمعْ . وأعادَتِ الجدةُ السؤالَ فى إصرارٍ: "ماذا اشتريْتَ بالنقودِ التى أعطاها لك جدُّكَ ؟"

وفى هذه المرةِ ، ظهرَ بوضوحٍ على وجهِ أمير أنه سمعَ السؤالَ ، كما ظهرَ بوضوحٍ أنه يُريدُ أن يحتفظَ بالإجابةِ لنفسِهِ . كانَتْ ملامحُهُ تقولُ :

"إنكم لم تسألونى هذا السؤالَ عندما أعطيتمونى النقودَ .. ولم يصحبْنى أحدٌ عندما دخلْتُ أختارُ وأشترى .. وقد اشتريْتُ شيئًا لنفسى بنقودى ، فلماذا تتدخَّلونَ فى اللحظةِ الأخيرةِ ، لتُفسِدوا حريتى فى التصرُّفِ والاختيارِ ؟!"

وقد قرأ الجدُّ كلَّ هذا فى ملامحِ وجهِ أميرٍ الصغيرِ ، فقالَ للجدةِ

فى مرحٍ :

"مهما يكُنِ الشىءُ الذى اختارَهُ أمير ، فمن حقِّهِ أن يحتفظَ

لنفسِهِ بسر ما اشتراهُ !!"



ضحكة الأطفال

كانَ لأحدِ السلاطينِ وجهٌ لا يعرفُ الابتسامَ . وذاتَ يومٍ ، شاهدَ عددًا من الأولادِ يلعبونَ فى حديقةٍ وهم يضحكونَ فى مَرَحٍ، فسألَهم : "لماذا تضحكونَ؟!"

قالَ ولدٌ: "أنا أضحكُ لأننى سعيدٌ بلونِ السماءِ الأزرقِ ، ولونِ الشجرِ الأخضرِ .." قالَ ولدٌ آخرُ : "وأنا أضحكُ لأننى سعيدٌ بزقزقةِ العصافيرِ ، وتغريدِ البلابلِ." وقال ولدٌ ثالثُ: "وأنا أضحكُ لأننى سعيدٌ بصحبةِ أصدقائى ، وبحبِّ أبى وأمِّى."

ظنَّ السلطانُ أن الأولادَ يسخرونَ منه ، وأصدرَ قرارًا بمنعِ الضحكِ فى مملكتِهِ!!

وامتنعَ الجميعُ عن الضحكِ ، إلا الأطفالَ الصغارَ ، فقد استمروا يضحكونَ ، لأنه يوجَدُ دائمًا فى الدنيا شيءٌ يستحقُّ أن نسعدَ بهِ!



صدر من هذا السلسلة



دار مصر للطباعة